بسم الله الرحمن الرحيم

الزواج

٤ / ٨ / ١٤٤٧

الحمدُ لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..

هل صعبت الحكاية؟

ثمّةَ في الأفقِ حكايةٌ لا تُروى كثيرًا، لكنها تُسمَع في صمت البيوت، قصة أحلامٍ كادت أن تذبل قبل أن تُزهِر، شبابٌ يؤخّرون الخطى، وفتياتٌ يُطِلْن الوقوف على عتبات الأمل.

تتراكم الأعباء على شبابنا كما تتراكم الغيوم، حتى تغدو أحلامهم بيتًا بعيد المنال، وفي زحام هذه التحوّلات، يولد سؤالٌ لا يُسأل جِهارًا: كيف صار الطريق الذي شُرِع للسكينة والمودّة، طريقًا موحشًا تتعثّر فيه الخطوات؟

إنه موضوعُ الزواج وهو من القضايا التي تمسُّ القلوب قبل

أن تُقْلِقَ العقول، وتَطرُقُ أبواب البيوت في مجتمعاتنا طرقًا خفيًّا.

ترى بعضُ الأسر قضية الزواج أمرًا ثقيلًا، وتراه فتياتٌ امتحانًا صامتًا، أصبحت قضية الزواج شبحًا عن البعض، بل يذهب آخرون إلى توزيع التُّهَم: هذه الفتاة قصّرت، وتلك الأسرة شدّدت، وهذا المجتمع قيّد، وينسون أو يتناسون أن لله تدبيرًا، وأن للأرزاق ربًّا يقسمها بحكمة لا تخطئ طريقها.

الزواج زرق الله لعبادة.

فالزواج ليس صفقةً تُدار، ولا موعدًا يُضبط في مفكرة البشر، بل هو رزقٌ كُتِب قبل أن نرى النور، وقُسِم يوم كانت أرواحُنا تُنفخ في أجسادنا، يوم أُمر المَلَك أن يخطّ في صحائف الغيب: رزقَ هذا، وأجلَ ذاك، وشقاءَ هذا أو سعادتِه. هكذا أخبر الصادق المصدوق ﷺ ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ الذاريات: ٢٢ آيةٌ كأنها رسالة لكل قلبٍ قلق: لا تبحث عن رزقك في ألسنة الناس، بل ارفعه إلى أبواب السماء.

نظرة بين الحاضر والماضي.

وقد كان الأمر في الماضي أبسط وأقرب إلى الفطرة،

فالشاب إذا بلغ العشرين بدأ أهله يفكرون في تزويجه، ولو كانت ذاتُ اليد قليلة، ثقةً بأن الرزق مع السعي، وأن الزواج بابٌ من أبواب الخير. أمّا اليوم فقد تغيّرت النظرة، فأصبح ابن العشرين يُعد صغيرًا لا يُفكَّر في زواجه إلا بعد أن يقترب من الثلاثين أو يتجاوزها، وربما طال به الانتظار أكثر.

وكذلك كانت الفتاة من قبل، إذا بلغت سنّ الأنوثة جاءها الخطّاب، ورأى أهلُها في الزواج سترًا واستقرارًا، أما الآن فتمرّ بها السنوات حتى قرابة الثلاثين، ويؤخَّر أمرُها بحُجة الدراسة أو الوظيفة، ويظن أهلها أن الفرصة متى أرادوها وجدوها.

الزواج من أعظم العبادات.

إن من أعظم العبادات الزواج، عبادةٌ تتفرّع عنها عبادات، وتفيض منها أجور لا تُحصى. فهو يُعِفّ النفس، ويُحصّن القلب، حتى إن المرء يُؤجَر على قربه من زوجه، كما قال النبي ﷺ: "وفي بُضعِ أحدكم صدقة"[1].

وكان السلف يدركون هذه الحقيقة حقّ الإدراك؛ فهذا ابن

---

(١) رواه مسلم.

مسعود رضي الله عنه يقول: "لو لم يبق من أجلي إلا أيام معدودة لتزوّجت مخافة الفتنة"[1].

لماذا تأخير الزواج؟

-الخوف من المسؤولية والنفقة: وكثيرٌ من الشباب والشابات اليوم يؤخّرون الزواج لا عجزًا، بل هروبًا من تحمّل المسئولية؛ فالرزق بيد الله، وهو الذي وعد بالإغناء ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ النور: ٣٢ وقد أكّد النبي ﷺ هذا المعنى حين جعل الناكح يريد العفاف في عداد من تكفّل الله بعونهم، فقال: "ثلاثة حقّ على الله عونهم... والناكح الذي يريد العفاف"[2]. فليس الزواج مغامرةً في المجهول، ولا عبئًا يُخشى عاقبتُه، بل بابٌ يُفتح معه الرزق، وتتنزّل به المعونة.

-الرغبة في حرية مزعومة: والبعض يترك الزواج ويأنس بجلسات الأصحاب، بل يتواصون فيما بينهم بتأجيل الارتباط،

---

(١) سنن سعيد بن منصور (١/١٦٤).

(٢) رواه الترمذي.

كأن الحرية لا تكتمل إلا بالابتعاد عن تكوين الأسرة. يظنّون أن هذه المتعة ستدوم، وأن الأيام ستبقى على وتيرتها، وينسون أو يغفلون أن للزمن حُكمُه، وأن ساعة الندم قد تأتي حين لا ينفع التمنّي.

-رفع سقف التوقعات: ومن مشكلات الشباب والفتيات أن بعضهم يرسم في خياله صورةً مثالية لشريك الحياة، يستمدّها من البيت تارة، ومن المسلسلات والإعلام تارة أخرى، ثم يجعلها ميزانًا صارمًا يقيس به كل من يتقدّم إليه. تريد الفتاة رجلًا بلا نقص، ويريد الشاب امرأةً بلا تقصير، وكأنهم يطلبون أبطال القصص لا شركاء الحياة.

يرفعون سقف التوقّعات، ثم يتعجّبون من طول الانتظار وقلّة التوفيق، وينسون أن البيوت لا تُبنى على الكمال الموهوم، بل على القبول، وحسن العشرة، والمودّة التي تنمو مع الأيام.

-التكلف والمباهاة: ومن تأمّل ما آل إليه حال الزواج في زماننا، وما أُحيط به من شروطٍ مُرهِقة، وتكاليف مُثقِلة، وحفلاتٍ متتابعة من خِطبةٍ ورؤيةٍ وملكةٍ وزفاف، أدرك أن من أعظم أسباب تعثّر البيوت قبل أن تُبنى، هو مخالفة هدي الشريعة التي

جاءت بالتيسير لا بالتعسير، وبالبركة لا بالمباهاة.

وقد نبّه النبي ﷺ إلى أن اليُمن والبركة إنما يكونان حيث السهولة والبساطة، فقال ﷺ : "إِنَّ مِنْ يُمْنِ الْمَرْأَةِ تَيْسِيرَ خِطْبَتِهَا، وَتَيْسِيرَ صَدَاقِهَا"(١).

ثم جاء تعليق عروة بن الزبير رحمه الله كلمةً تُكتب بماء القلب، فقال: "وأنا أقول من عندي: ومن شؤمها تعسير أمرها، وكثرة صداقها"(٢).

فكيف تريد التوفيق فتاة، وكيف ينتظِر السدادَ أولياء، وهم يعاكسون هذا الهدي البيّن؟ يردّون الأكفاء، ويُسيئون الاختيار، ويبتدعون شروطًا قاسية، ثم يتساءلون: لم العنوسة؟

ولو كان ذلك في زمنٍ يكثر فيه الرجال وتقلّ فيه النساء، لهان الخطب، وسهل التعويض، ولكننا في زمانٍ ازدحمت فيه البيوت بالبنات، وقلّ فيه المقبلون من الشباب، حين تحوّلت السكينة إلى صفقة تجارية، والمودّة إلى مشروع مرهق.

---

(١) رواه أحمد.

(٢) أخرجه ابن حبان (٥/٣٥٩).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

الحمد لله....

من حق الأبناء على الآباء تزوجيهم.

إن من حقوق الأبناء في أعناق آبائهم أن يسعى الآباء في تزويج أبنائهم إذا بلغوا سنَّ الزواج، من يومٍ أن تشتدّ حاجاتهم حين تتكاثر الفتن وتترامى المغريات من كل صوب.

وقد وعى السلف هذه الأمانة حقَّ الوعي، يقول سعيد بن العاص رضي الله عنه: "إِذَا عَلَّمْتُ وَلَدِي الْقُرْآنَ وَحَجَّجْتُهُ وَزَوَّجْتُهُ فَقَدْ قَضَيْتُ حَقَّهُ، وَبَقِيَ حَقِّي عَلَيْه"[1].

بل إن التفريط في هذا الباب ليس هينًا، فقد يكون وزرًا يتعلّق برقبة الأب إذا كان سببًا في عثرة ولده. يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "زَوِّجوا أَولادَكم إذا بَلَغوا، لا تَحمِلوا آثامَهم"[2].

وقال قتادة: كان يقال: "إذا بلغ الغلام فلم يزوّجه أبوه

---

(١) النفقة على العيال، لابن أبي الدنيا (١/٣٣١).

(٢) مسند الفاروق، لابن كثير لابن أبي الدنيا (٢/١٤١).

فأصاب فاحشة، أثِم الأب"[1].

الحكمة في تعامل الآباء عند طلاق الأبناء.

ثم إذا ابتُلي الابن أو الابنة بتجربة زواجٍ لم يكتب لها النجاح، كانا أحوجَ ما يكونا إلى صدرٍ يحتضن، لا إلى لسانٍ يجلد، وإلى كلمةٍ تُضمّد الجرح، لا إلى عبارةٍ تزيده نزفًا. فبعض الآباء أو الأمهات -مع الأسف- يقابلون انكسار الابن أو الابنة في فشل زواجهما بقسوة، ويستقبلون آلامهما بتوبيخ، فيتضاعف الكسر، ويُطفَأ ما بقي في القلب من نور الأمل، فينصرفا عن فكرة الزواج كلِّها.

وهنا يظهر واجب الأبوين الحقّ؛ أن يكونا بلسمًا لا سيفًا، وسندًا لا خصمًا. أن يُجبرا الخواطر قبل أن يعاتبا، وأن يمسحا على القلوب قبل أن يحاسبا، وأن يذكّرا أن التجارب لا تُقاس بنهاياتها، بل في كل فشل قصةُ نجاح. ثم يَعرضا الزواج من جديد، لا إلحاحًا جافًّا، بل تشجيعًا رحيمًا، يعيد في النفس الثقة، ويوقظ فيها الرجاء.

---

(١) النفقة على العيال، لابن أبي الدنيا (١/٣٣١).